الدّينُ البَهَائيّ

الجامعة البهائيّة العالميّة
Bahá'í International Community
P.O. Box 2562, London W5 3ZB
United Kingdom
1994

صفحة خالية

المحتويات

مقدّمة 1

من مبادئ الدّين البهائيّ 5

وحدة الأديان 5

السّعي إلى الكمال 6

توافق العلم والدّين 7

نبذ التّعصّبات 8

وحدة الجنس البشريّ 8

التّضامن الاجتماعيّ 9

مساواة حقوق الرّجال والنّساء 10

النّظم البديع 11

من تاريخ الدّين البهائي 13

رسالة البشير أو البابيّة 14

طلعة الظّهور أو البهائيّة 21

العهد والميثاق 28

ولاية الأمر 34

شهادة المنصفين 35

من آثار بهاء الله 38

مصادر المقتطفات 41

صفحة خالية

الدّينُ البَهَائيّ

مقدّمة

الدّين البهائيّ هو أقرب الأديان السّماويّة عهدًا، ويشترك معها أساسًا في الدّعوة إلى التّوحيد، ولكنّه دين مستقلّ له كتبه المقدّسة ومبادئه وأحكامه، دعا إليه ميرزا حسين علي النّوري، ولقبه بهاء الله، بعد أن أعلن بعثته في ربيع عام 1863، وفقًا لما بشّر به من قبل السّيد علي محمد، ولقبه الباب، المبعوث في عام 1844. يختلف انتشار الدّين البهائيّ باختلاف المجتمعات، ولكن ما ينفرد به هو القبول العام المطلق لمبادئه وتعاليمه، فالملايين الّتي تؤمن به اليوم تمثّل مختلف الأجناس، والأعراق، والجنسيّات، والثّقافات، والطّبقات، والخلفيّات الدّينيّة. ومنهم تتألّف جامعة عالميّة موحّدة، تحظى باحترام وافر في المجالس الدّوليّة، وتشترك، بوصفها منظّمة عالميّة غير حكوميّة، في نشاط هيئة الأمم المتّحدة ووكالاتها المتخصصّة.

تتميّز تعاليم الدّين البهائيّ بالبساطة والوضوح، وتركّز على الجوهر، وتبعد عن الشّكليّات، وتحثّ على تحرّي الحقيقة، وتنادي بنبذ التّقليد والأوهام، وتهتمّ بنقاء الوجدان، وتنشد السّعادة الحقّة في السّموّ الرّوحانيّ، وتؤكّد أبديّة الرّوح الإنسانيّ، وتبشّر باستمرار تتابع الأديان، وتعلن أنّ الدّين سبب انتظام العالم واستقرار المجتمع، وتنشد الحرّيّة في الامتثال لأحكام الله، وتشترط أن تكون أقوال الإنسان وأعماله مصداقًا لعقيدته ومرآة لإيمانه، وترفع إلى مقام العبادة كل عمل يؤدّى بروح البذل والخدمة، وتعتبر الفضل في الخدمة والكمال لا في حبّ الزّينة والمال، وتدعو للصّلح الصّلاح، وتنادي بنزع السّلاح، وتروم تأسيس

الوحدة والسّلام بين الأمم، وترى إن كان حبّ الوطن من الإيمان فمن الأولى أن يكون كذلك حبّ العالم وخدمة الإنسان.

لا وجود في الدّين البهائيّ لكهنة، ولا رهبان، ولا رجال دين، ولا قدّيسين، ولا أولياء. والعبادة فيه خالية من الطّقوس والمراسيم، وتؤدّى صلاته على انفراد. وتميل أحكامه لتهذيب النّفس أكثر منها للعقاب. وتجعل أساس الطّاعة هو حبّ الله. وتسهر على رعاية شؤون أتباعه هيئات منتخبة هي المحافل الرّوحانيّة، وعلى رأسها مجلس أعلى هو بيت العدل الأعظم. ويقع مركزه العالميّ بالقرب من أماكنه المقدّسة في مدينتي حيفا وعكّا، حيث نقل رفات الباب، وحيث سُجن ودُفن بهاء الله عام 1892.*

يعترف الدّين البهائيّ بأن كلّ الأديان السّابقة سماويّة في أصلها، متّحدة في أهدافها، متكاملة في وظائفها، متّصلة في مقاصدها، جاءت جميعًا بالهدي لبني الإنسان. ولا يخالف الدّين البهائيّ في جوهره المبادئ الرّوحانيّة الخالدة الّتي أنزلت على الأنبياء والرّسل السّابقين، وإنّما تباينت عنها تعاليمه وأحكامه وفقًا لمقتضيات العصر ومتطلّبات الرّقيّ والحضارة، وأتت بما يجدّد الحياة في هياكل الأديان، وهيّأت ما يزيل أسباب الخلاف والشّقاق، وأتت بما يقضي على بواعث الحروب، وأظهرت ما يوفّق بين العلم والدّين، وساوت حقوق الرّجال والنّساء توطيدًا لأركان المجتمع. هذا بعض ما يقدّمه الدّين البهائيّ لإنقاذ عالم مضّطرب وحماية انسانيّة محاطةٍ بخطر الفناء. ما لم يتجدّد تفكيرها وتتطوّر أساليبها لتتمشّى مع احتياجات عصر جديد.

إنّ مبادئ وأحكام الدّين البهائيّ الّتي أعلن بهاء الله،

---

* ارجع إلى عكّا. في الجزء المتعلّق بالتاريخ الوارد فيها ص24.

أنّها السّبب الأعظم والدّرياق الأتمّ لنجاة البشر واتّحاد العالم، قد أثبتت خلال القرن الأوّل لهذا الدّين قدرتها لتحقيق غاياتها: فقد أدّت إلى تطوير أفكار النّاس، وتقويم سلوك الملايين من أتباعه وألّفت منهم، مع تباين أعراقهم، وثقافاتهم، وبيئاتهم، ومكاناتهم، وثرواتهم، وسابق معتقداتهم، جامعة إنسانيّة لا شرقيّة ولا غربيّة متّحدة في مُثُلها ودوافعها وأهدافها، دائبة السّعي لرعاية مصالح الإنسانيّة جمعاء، بغض النّظر عن اختلاف الدّين والرّأي والتّفكير.

كما أظهرت الهيئات الإداريّة لهذا الدّين رغم حداثة عهدها أمانة ونزاهة في قيادتها، ورشدا في تدبيرها، وحنكة في تخطيطها، وتمتّعت بتأييد الخاضعين لها؛ وسعت لحلّ مشاكل المجتمعات الّتي وجدت فيها، وجهدت في معاونة كثير من المجتمعات المتخلّفة في مجال التّنمية الاقتصاديّة والاجتماعيّة في أنحاء العالم، وقدّمت حلولاً عمليّة للمشاكل المعضلة الّتي تواجه زماننا. إنّ هذا النّظم الجديد المتدفّق بالثّقة والحيويّة، والقادر على مواجهة المشاكل، والوفاء بالآمال المعقودة عليه، هو نظم توفّرت فيه عناصر الصّلاحية والكفاءة والنّجاح، ودلّل على أنّ تحدّيات هذا العصر ومشاكله لا يتسنّى مجابهتها إلاّ ببعث روحانيّ، وإحياء فكريّ، لا يتحققان إلاّ برسالة سماويّة جديدة.

فالأديان أُمّ الحضارات ونبع الفضائل والكمالات. وتتابعها هو الّذي مهّد طريق الرّقي الفكريّ، والسموّ الخلقيّ، والتقدّم الاجتماعيّ الّذي سلكته شعوب الأرض عبر أحقاب التّاريخ. فما من حضارة خلت من هذا الجوهر الّذي أمدّها بالقدرة والحيويّة والإلهام، وقاد أهلها إلى أوج المجد ومعارج الابتكار، ولكن إلى حين. إنّ استمرار تعاقب الأديان ليس مجرد ظاهرة مطّردة سجّلها التّاريخ فحسب، وإنّما هو العروة الوثقى الّتي تربط الإنسان

بفاطره، والقوّة الّتي تواصل إنماء خصائصه، والنّهج القويم الّذي يضمن له بلوغ الغاية الّتي خلق من أجلها، والشّرب الّذي يمدّ وجدانه بما يرقى بأدنى غرائزه إلى أفلاك المُثُل العليا، والرّبيع الّذي يجدّد فيه روح البطولة والبذل والعلا ويمدّه من حين إلى حين بالطّاقة الرّوحانيّة اللاّزمة لإنماء المواهب الكامنة في ذاته.

وتصوّر انتهاء هذه المصادر للقوى المعنويّة تصوّر تقليدي ردّده أتباع كل دين، بدافع الولاء والإخلاص، واستندوا إلى روايات حمّلوها أكثر مما تحتمل، ولكن حقيقة الأمر أنّ هذا التّصوّر لا يعتمد على فهم صحيح لمعاني الكتب السّماويّة، ولا يستند إلى حقيقة علميّة، ولا يستقيم مع الغايات الّتي تتوخّاها الأديان، ولا يصمد للتّحليل والبحث المنزَّهَيْن عن التّعصُّب والتّزمّت.

إنّ المسلّمات القديمة الّتي يطرحها الدّين البهائي على بساط البحث من جديد، والمفاهيم الواضحة الّتي يقدّمها لمن يعنيهم دراسة الأديان على أسس جديدة، والحلول الّتي يقدّمها لإعادة تنظيم الحياة الفرديّة والجماعيّة على السّواء، تفتح أمام المتطلّعين لغد أفضل آفاقًا فسيحة لما يمكن أن يقود العالم إلى التّعاون والوحدة والاتّفاق.

لا يمكن لمحاولة عاجلة كهذه للتّعريف بالحقائق الأساسيّة للدّين البهائيّ إلاّ أن تكتفي بموجز لبعض المبادئ الّتي تدور حولها تعاليمه وأحكامه، ونذر يسير من أحداث تاريخه، وعرض سريع لآراء بعض من عرفوه عن كثب، ومقتطفات وجيزة من نصوصه وآياته. هذا ما ستسعى لتقديمه الصّفحات التّالية، في جهد متواضع لا يكاد يفي بالغاية، ولكن الأمل معقود على أن يكون فيما تعرضه ما يحثّ القارئ على مداومة البحث بدافع المسئولية والسّعي وراء الحقيقة.

مِن مَبَادِئ الدّين البَهَائيّ

نعني بالمبادئ تلك الأصول المستخلصة من الآيات والألواح المنزّلة في هذا الدّور الجديد، والّتي يعتبرها البهائيّون هاديًا لهم وتوجيهًا إلهيًّا يحدّد معالم الشّوط الحاليّ من المسيرة الإنسانيّة، ويجدون فيها الأساس الّذي ستشاد عليه الحضارة العالميّة المقبلة. فالمبادئ بهذا التّصوّر هي بمثابة أهداف تدور حولها وتسدّد إليها جهود وموارد وإمكانات كلّ من الأفراد والجماعات على السّواء. ويضع البهائيّون مبادئ وأحكام دينهم موضع التّنفيذ، ويركّزون جهدهم لتحقيق مضمونها في حياتهم اليوميّة، وهذا ما يميّز هذه المبادئ عن الشّعارات الجذّابة التي تزخر بها أقوال فلاسفة ومفكّري هذا العصر، دون أن نلمس لها أثرًا يذكر في الحياة العمليّة.

من المبادئ الّتي جاء بها الدّين البهائيّ مبدأ وحدة الأديان ودوام تعاقبها. وينطلق هذا المبدأ من حقيقة ما فتئت تزداد وضوحًا، وهي أن الأديان واحدة في أصلها وجوهرها وغايتها، ولكن تختلف أحكامها من رسالة إلى أخرى تبعًا لما تقتضية الحاجة في كل زمان، وفقًا لمشكلات العصر الّذي تُبعث فيه هذه الرّسالات. للبشريّة في كل طور من أطوار تقدّمها، مطالب وحاجات تتناسب مع ما بلغته من رقّي ماديّ وروحانيّ، ولا بدّ من ارتباط أوامر الدّين ونواهيه بهذه الحاجات والمطالب. فالمبادئ والتّعاليم والأحكام الّتي جاء بها الأنبياء والرّسل، كانت بالضّرورة على قدر طاقة النّاس في زمانهم وفي حدود قدرتهم على استيعابها، وإلاّ لما صلحت كأداة لتنظيم ومعيشتهم والنّهوض بمداركهم في مواصلة التّقدم نحو الغاية الّتي توخّاها خالقهم.

يؤمن البهائيّون إذًا بأن الحقائق الدّينيّة نسبيّة وليست مطلقة، جاءت على قدر طاقة الإنسان وإدراكه المتغيّر من عصر إلى عصر، لا على مقدار علم أو مكانة الأنبياء والمرسلين. ويؤمن البهائيّون أيضًا باتّحاد الأديان في هدفها ورسالتها، وفي طبيعتها وقداستها، وفي لزومها وضرورتها، ولا ينال من هذه الوحدة، كما رأينا، تباين أحكامها أو اختلاف مناهجها. لهذا لا يزعم البهائيّون أن دينهم أفضل الأديان أو أنّه آخرها، وإنّما يؤمنون أنّه الدّين لهذا العصر، الدّين الّذي يناسب مدارك ووجدان الإنسان في وقتنا وزماننا، والدّين الّذي يعدّ إنسان اليوم لإرساء قواعد الحضارة القادمة، وفي هذا وحده تتلخّص علّة وجوده وسبب اختلاف أحكامه عن أحكام الأديان السّابقة.

ومن مبادئ الدّين البهائي السّعي إلى الكمال الخلقي، فالغاية من ظهور الأديان هي تعليم الإنسان وتهذيبه. ما من دين حاد عن هذا الهدف الجليل الّذي ينشد تطوير الإنسان من كائن يحيا لمجرّد الحياة ذاتها، إلى مخلوق يريد الحياة لما هو أسمى منها، ويسعى فيها لما هو أعزّ من متاعها وأبقى، ألا وهو اكتساب الفضائل الإنسانيّة والتّخلّق بالصّفات الإلهيّة تقرّبًا إلى الله. والقرب إليه ليس قربًا مكانيًّا أو زمانيًّا، ولكن قرب مشابهة والتّحلّي بصفاته وأسمائه. ويفرض هذا المبدأ على البهائيّ واجبين: واجبه الأوّل السّعي الدائب للتّعرّف على ما أظهر الله من مشرق وحيه ومطلع إلهامه. وواجبه الثّاني أن يتّبع في حركته وسكونه، وفي ظاهره وباطنه ما حكم به مشرق الوحي. فالعمل بما أنزل الله هو فرع من عرفانه، ولا يتمّ العرفان إلاّ به. وليس المقصود بعرفان الإنسان لصفات الله التّصوّر الذهنيّ لمعانيها، وإنّما الاقتداء بها في قوله وعمله وفي ذلك تتمثّل العبوديّة الحقّة لله تنزّه تعالى عن كلّ وصف وشبه ومثال.

ومن مبادئ الدّين البهائيّ ضرورة توافق العلم والدّين. بالعلم والدّين تميّز الإنسان على سائر المخلوقات، وفيهما يكمن سرّ سلطانه، ومنهما انبثق النّور الّذي هداه إلى حيث هو اليوم، وما زالا يمدّانه بالرّؤية نحو المستقبل. العلم والدّين سبيلان للمعرفة. فالعلم يمثل ما اكتشفه عقل الإنسان من القوانين الّتي سنّها الخالق لتسيير هذا الكون، وأداته في ذلك الاستقراء: فيبدأ بالجزئيّات ليصل إلى حكم الكلّيّات. والدّين هو ما أبلغنا الخالق من شئون هذا الكون، ونهجه في تفصيل ذلك هو الاستنتاج: استنباط حكم الجزئيّات من الكلّيّات. فكلاهما طريق صحيح إلى المعرفة، ويكمّل أحدهما الآخر، ولعلّ اختلاف الدّين عن العلم ناتج عن فساد أسلوب مِراسنا، لأنّهما وجهان لحقيقة واحدة.

طالما تعاون العلم والدّين في خلق الحضارات وحلّ ما أشكل من معضلات الحياة. فالدّين هو المصدر الأساسيّ للأخلاق والفضائل وكلّ ما يعين الإنسان في سعيه إلى الكمال الرّوحانيّ، بينما يسمح العلم للإنسان أن يلج أسرار الطّبيعة ويهديه إلى كيفيّة الاستفادة من قوانينها في النّهوض بمقوّمات حياته وتحسين ظروفها. فبهما معًا تجتمع للإنسان وسائل الرّاحة والرّخاء والرّقي مادّيًّا وروحانيًّا. هما للإنسان بمثابة جناحي الطّير، على تعادلهما يتوقّف عروجه إلى العُلى، وعلى توازنهما يقوم اطّراد فلاحه. إن مال الإنسان إلى الدّين دون العلم، سيطرت على فكره الشّعوذة والخرافات، وإن نحا إلى العلم دون الدّين، سيطرت على عقله المادّيّة، وضعف منه الضّمير. واختلافهما في الوقت الحاضر هو أحد الأسباب الرّئيسيّة للاضطراب في المجتمع الإنسانيّ، وهو اختلاف مرجعه انطلاق التّفكير العلميّ حرًّا، مع بقاء التّفكير الدّينيّ في أغلال الجمود والتّقليد.

ومن مبادئ الدّين البهائيّ نبذ جميع التّعصّبات. فالتّعصّبات أفكار ومعتقدات نسلّم بصحتها ونتّخذها أساسًا لأحكامنا، مع رفض أي دليل يثبت خطأها أو غلوّها، وعلى هذا تكون التّعصّبات جهالة من مخلّفات العصبيّة القبليّة. وأكثر ما يعتمد عليه التّعصب هو التّمسك بالمألوف وخشية الجديد، لمجرد أن قبوله يتطلّب تعديلاً في القيم والمعايير الّتي نبني عليها أحكامنا. فالتّعصّب نوع من الهروب، ورفض لمواجهة الواقع.

بهذا المعنى، التّعصب أيّا كان جنسيًّا أو عنصريًّا أو سياسيًّا أو عرقيًّا أو مذهبيًّا، هو شرّ يقوّض أركان الحقّ ويفسد المعرفة، بقدر ما يدعّم قوى الظّلم ويزيد سيطرة حريّته قوى الجهل. وبقدر ما للمرء من تعصّب يضيق نطاق تفكيره وتنعدم حرّيّته في الحكم الصّحيح. ولولا هذه التعصّبات لما عرف الناس كثيرًا من الحروب والاضطهادات والانقسامات. ولا زال هذا الدّاء ينخر في هيكل المجتمع الإنسانيّ، ويسبّب الحزازات والأحقاد الّتي تفصم عرى المحبّة والوداد. إنّ البهائية بإصرارها على ضرورة القضاء على التّعصّب، إنّما تحرّر الإنسان من نقيصة مستحكمة، وتبرز دوره في إحقاق الحقّ وأهمّية تحلّيه بخصال العدل والنّزاهة والإنصاف.

ومن مبادئ الدّين البهائيّ وحدة الجنس البشريّ. الاتّحاد هدف بعيد المدى أنهجتنا سبيله الأديان منذ القدم، فوطّدت أركان الأسرة، فالقبيلة، فدولة المدينة، فالأمّة، وعملت على تطوير الإنسان من البداوة إلى الحضارة، وتوسيع نطاق مجتمعه بالتئام شعوب متنابذة في أمّة متماسكة، إعدادًا ليوم فيه يلتقي البشر جميعًا تحت لواء العدل والسّلام في ظلّ وهدي الحقّ جلّ جلاله.

حقيقةً، لم ينفرد الدّين وحده كقوّة جامعة للبشر، فقد اتّحدت أقوام كثيرة استجابة لدوافع قوميّة أو اقتصاديّة أو دفاعيّة،

ولكن امتاز الاتّحاد القائم على الانتماء الدّينيّ عن غيره بطول أمده ورسوخ دعائمه في وجدان أبناء العقيدة الواحدة. وإن لم يخل، مع الأسف، تاريخ الأديان أيضًا من الانقسامات والانشقاقات الّتي استنزفت كثيرًا من الموارد البشريّة والاقتصاديّة.

الاتّحاد هدف نبيل في حدّ ذاته، ولكنّه أضحى اليوم ضرورة تستلزمها المصالح الحيويّة للإنسان. فالمشاكل الكأداء الّتي تهدّد مستقبل البشريّة مثل حماية البيئة من التّلوث المتزايد، واستغلال الموارد الطبيعيّة في العالم على نحو عادل، وإلحاح الحاجة إلى الإسراع بمشروعات التّنمية الاقتصاديّة والاجتماعيّة في الدّول المتخلّفة، وإبعاد شبح الحرب النّوويّة عن الأجيال القادمة، ومواجهة العنف والتّطرف اللّذين يهددان بالقضاء على الحريّات الفرديّة، كلّ هذه، وعديد من المشاكل الأخرى، يتعذر معالجتها على نحو فعّال إلاّ من خلال تعاون وثيق مخلص على الصّعيد العالميّ.

علّمنا التّاريخ، كما تعلّمنا أحداث الحاضر المريرة، أنّه لا سبيل لنزع زؤام الخصومة والضّغينة والبغضاء وبذر بذور الوئام بين الأنام، ولا سبيل لمنع القتال ونزع السّلاح ونشر لواء الصّلح والصّلاح، ولا سبيل للحدّ من الأطماع والسّيطرة والاستغلال، إلاّ بالاعتصام بتعاليم دين جديد وتشريع سماويّ تتناول أحكامه تحقيق هذه الغايات. من خلال نظام بديع يقوم على إرساء قواعد الوحدة الشّاملة لبني الإنسان.

ومن مبادئ الدّين البهائيّ تحقيق التّضامن الاجتماعيّ. لقد كان وما زال العوز داء يهدّد السّعادة البشريّة والاستقرار الاجتماعيّ، ومن ثمّ توالت المحاولات للسّيطرة عليه. وإن صادف بعضها نجاحًا محدودًا، إلاّ أنّ الفقر قد طال أمده واستشرى خطره في وقتنا الحاضر، وهو أقوى عامل يعوّق جهود الإصلاح

والتّنمية في أكثر المجتمعات. وقد امتدّت شروره الآن إلى العلاقات بين الدّول لتجعل منه وممّا ينجم عنه من تخلّف، أزمة حادّة عظيمة التّعقيد.

إن كانت المساواة المطلقة مستحيلة وعديمة الجدوى، فإنّ من المؤكّد أنّ لتكديس الثّروات في أيدي الأغنياء مخاطر ونكسات لا يستهان بهما. ففي تفشّي الفقر المدقع إلى جوار الغنى الفاحش مضار محقّقة تهدّد السّكينة الّتى ينشدها الجميع، وإجحاف يدعو إلى إعادة التّنظيم والتّنسيق حتّى يحصل كلّ على نصيب من ضرورات الحياة الكريمة. وإن كان تفاوت الثّروات أمرًا لا مفرّ منه، فإنّ في الاعتدال والتّوازن ما يحقّق كثيرًا من القيم والمنافع، ويتيح لكلّ فرد حظًّا من نعم الحياة. لقد أرسى بهاء الله، جلّ ذكره، هذا المبدأ على أساس دينيّ ووجدانيّ، كما أوصى بوضع تشريع يكفل المواساة والمؤازرة بين بني الإنسان، كحقّ للفقراء، بقدر ما هما واجب على الأغنياء.

ومن مبادئ الدّين البهائيّ المساواة في الحقوق والواجبات بين الرّجال والنّساء. لا تفترق ملكات المرأة الرّوحانيّة وقدراتها الفكريّة والعقليّة، وهما جوهر الإنسان، عمّا أوتي الرّجل منهما. فالمرأة والرّجل سواء في كثير من الصّفات الإنسانيّة، وقد كان خَلْقُ البشر على صورة ومثال الخالق، لا فرق في ذلك بين امرأة ورجل. وليس التّماثل الكامل بين الجنسين في وظائفهما العضويّة شرطًا لتكافئهما، طالما أنّ علّة المساواة هي اشتراكهما في الخصائص الجوهريّة، لا الصّفات العرضيّة. إنّ تقديم الرّجل على المرأة في السّابق كان لأسباب اجتماعيّة وظروق بيئيّة لم يعد لهما وجود في الحياة الحاضرة. ولا دليل على أنّ الله يفرّق بين الرّجل والمرأة من حيث الإخلاص في عبوديّته والامتثال

لأوامره؛ فإذا كانا متساويين في ثواب وعقاب الآخرة، فَلِمَ لا يتساويان في الحقوق والواجبات إزاء أمور الدّنيا؟

المساواة بين الجنسين هي قانون عام من قوانين الوجود، حيث لا يوجد امتياز جوهريّ لجنس على آخر، لا على مستوى الحيوان، ولا على مستوى النّبات. والظّنّ قديمًا بعدم كفاءة المرأة ليس إلاّ شبهة مرجعها الجهل وتفوّق الرّجل في قواه العضليّة.

عدم اشتراك المرأة في الماضي اشتراكًا متكافئًا مع الرّجل في شئون الحياة، لم يكن أمرًا أملته طبيعتها بقدر ما برّره نقص تعليمها وقلّة مرانها، وأعباء عائلتها، وعزوفها عن النّزال والقتال. أمّا وقد فُتحت اليوم أبواب التّعليم أمام المرأة، وأتيح لها مجال الخبرة بمساواة مع الرّجل، وتهيّأت الوسائل لإعانتها في رعاية أسرتها، وأضحى السّلام بين الدّول والشّعوب ضرورة تقتضيها المحافظة على المصالح الحيويّة للجنس البشريّ، لم يعد هناك لزوم لإبقاء امتياز الرّجل بعد زوال علّته وانقضاء دواعيه. إنّ تحقيق المساواة بين عضوي المجتمع البشريّ يتيح الاستفادة التّامة من خصائصهما المتكاملة، ويسرع بالتّقدم الاجتماعيّ والسّياسيّ، ويضاعف فرص الجنس البشريّ لبلوغ السّعادة والرّفاهيّة.

ومن مبادئ الدّين البهائيّ إيجاد نظام يحقق الشّروط الضّروريّة لاتّحاد البشر. وبناء هذا الاتّحاد يقتضي دعامة سندها العدل لا القوّة، وتقوم على التّعاون لا التّنافس، وغايتها تحقيق المصالح الجوهريّة لعموم البشر، ويكون نتاجها عصرًا يجمع بين الرّخاء والنّبوغ على نحو لم تعرفه البشريّة إلى يومنا هذا. وقد فصّل بهاء الله أسس هذا النّظم البديع في رسائله إلى ملوك ورؤساء دول العالم في عصره، أمثال ناپليون الثّالث، والملكة ڤكتوريا، وناصر الدّين شاه، ونيقولا الأوّل، وبسمارك، وقداسة

البابا بيوس التّاسع، والسّلطان عبد الحميد، فدعاهم للعمل متعاضدين على تخليص البشريّة من لعنة الحروب وتجنيبها نكبات المنافسات العقيمة. قوبل هذا النّظم العالمي آنذاك بالاستنكار لمخالفته لكلّ ما كان متعارفًا عليه في العلاقات بين الدّول. لكن أصبحت المبادئ الّتي أعلنها مألوفة، يراها الخبراء والمفكّرون اليوم من مسلّمات أيّ نظام عالميّ جاد في إعادة تنظيم العلاقات بين المجموعات البشريّة على نمط يحقّق ما أسلفنا ذكره من الغايات. ومن أركان هذا النّظم:

- نبذ الحروب كوسيلة لحلّ المشاكل والمنازعات بين الأمم، بما يستلزمه ذلك من تكوين محكمة دوليّة للنّظر فيما يطرأ من منازعات، وإعانة أطرافها للتّوصّل إلى حلول سلميّة عادلة.

- تأسيس مجلس تشريعيّ لحماية المصالح الحيويّة للبشر وسنّ قوانين لصون السّلام في العالم.

- تنظيم إشراف يمنع تكديس السّلاح بما يزيد عن حاجة الدّول لحفظ النّظام داخل حدودها.

- إنشاء قوّة دوليّة دائمة لفرض احترام القانون وردع أي أمّة عن استعمال القوّة لتنفيذ مآربها.

- إيجاد أو اختيار لغة عالميّة ثانويّة تأخذ مكانها إلى جانب اللّغات القوميّة تسهيلاً لتبادل الآراء، ونشرًا للثّقافة والمعرفة، وزيادة للتّفاهم والتّقارب بين الشّعوب.

مِن تَاريخ الدّين البَهَائيّ

بدأ التّاريخ البهائيّ بإعلان الدّعوة البابيّة في عام 1844، وهي ذاتها تهيئة لقدوم دعوة أخرى، تتحقّق بظهورها نبوءات الأنبياء والرّسل السّابقين، ألا وهي الدّعوة البهائيّة. وقد مهّدت الفرقة الشّيخيّة قبل البابيّة لهذا الحدث الجلل، بفضل عالمين جليلين من أئمة الشّيعة الإثني عشريّة. مرّت أحداث التّاريخ البهائيّ بمراحل عدّة لكلّ منها خصائص مميّزة، وإن كانت متّصلة بلا انفصام، بحيث لا يبين مدلولها الكامل إلاّ برؤيتها كوحدة متكاملة. ولكن رغبة في إيضاح وإبراز مغزى أحداث هذا التّاريخ الحافل، يمكن تقسيمه إلى دورتين: دورة البشير أو البابيّة، ودورة الظّهور أو البهائيّة، تسبقهما مرحلة إعداديّة تتمثّل في تعاليم الفرقة الشّيخيّة. هذا التّقسيم، وما ينضوي تحته من تقسيم أكثر تفصيلا، لا يحمل معنى خاصًّا، ولا يعدو عن كونه ترتيبًا منهجيًّا لدراسة التّاريخ وسهولة استيعابه.

مرحلة الإعداد أو الشّيخيّة

ساد في أوائل القرن التّاسع عشر بين أتباع الدّيانات المختلفة شعور باقتراب تحقّق نبوءات آخر الزّمان، المؤكّدة لرجوع المسيح، أو ظهور الإمام الغائب، أو مجيء المهدي المنتظر، وأنكر آخرون احتمال ذلك. وسط هذه التّكهّنات، ظهرت فرقة الشّيخيّة الّتي أسّسها الشّيخ أحمد بن زين الدّين بن إبراهيم الإحسائيّ، المولود بشبه الجزيرة العربيّة عام 1743.

اهتمّ الإحسائي بإصلاح معتقدات الشّيعة: فقال بأنّ الإمام الموعود لن يخرج من الخفاء، وإنّما سيولد في صورة شخص من أشخاص هذا العالم، وإنّ المعاد يكون بالجوهر لا بالعنصر الترابيّ، فالجسد يبلى بعد الموت، أمّا الحشر والنّشر فيكون بالرّوح وهو من الجواهر. توفّي الشّيخ سنة 1826 ودفن بالبقيع، بالمدينة المنوّرة.[1]

تابع أبحاث الإحسائي من بعده تلميذه الشّيخ كاظم الرّشتي، وواصل رؤى شيخه في ظهور "الموعود" وعدّد لتلاميذه أوصافه وعلاماته، وأعلن في أواخر أيّامه أنّ تعاليم الشّيخيّة قد استوفت غرضها في التّهيئة لمجيئة، وأوصى تلاميذه بالتّشتّت بحثًا عنه. فما أن توفّاه الله حتى هاموا في أرجاء إيران بحثًا عن الموعود.[2]

رسالة البشير أو البابيّة

كانت دروة البشير أو المبشّر قصيرة المدى، لم تتعدّ ثماني سنوات، ولكنها حفلت بآيات البطولة، وتجلّت فيها روح الفداء بالنّفس والنّفيس في سبيل الله. ويمكن، لإبراز مغزى أحداث هذه الدّورة، تقسيمها إلى ثلاث مراحل: مرحلة الكشف، ومرحلة الإعلان، ومرحلة الاستقلال.

مرحلة الكشف

جرت معظم أحداثها في مدينة شيراز، وأهمّها كشف النّقاب عن أمر الباب، وإنّ بقي أمره طوال هذه المرحلة، منحصرًا في عدد محدود من أتباعه، بينما كرّس حضرته جهده لتلقينهم تعاليم دعوته، وإعدادهم للمهام الجسيمة الّتي تنتظرهم، وتنتهي هذه

المرحلة باجتماع الباب بتلاميذه الثّمانية عشر، وإبلاغهم مهام كلّ منهم، وأمرهم بالتّشتّت في أنحاء البلاد.

تفصيلاً لهذا الإجمال، نعود بالأحداث إلى تلاميذه السّيّد كاظم الرّشتي. في غضون عام من انتشارهم بحثًا عن "القائم"، التقى أحد أئمتّهم، الملاّ حسين بشروئي، بالسّيّد علي محمد، أحد تجّار وأعيان مدينة شيراز، الّذي دعاه إلى منزله. وسرعان ما انبهر الملاّ حسين بشخص مضيفه، إذ وجده فذًّا في رقّته ووقار شخصيّته، فريدًا في وداعته وصفاء سريرته، جذّابًا في حديثه، قويًّا في منطقه، يأسر مستمعيه بسحر بيانه. وفي الهزيع الأوّل من تلك اللّيلة الخامسة من جمادى الأولى 1260هـ - الموافقة لليلة 22 مايو (أيّار) 1844م – كشف السّيد علي محمّد لضيفه النّقاب عن حقيقة كينونته: إنّه هو الباب - وهو لقب يبيّن أنّه مقدّمة لمجيء "من يظهره الله" – ذات "الظهور" الّذي بشّر بقرب مجيئه الشّيخان، أحمد الإحسائي وكاظم الرّشتي، وجاء ذكره في الدّيانات السّابقة بأسماء وأوصاف متباينة في ظاهرها، متوافقة في جوهرها وحقيقتها.

في أوّل الأمر، ساور الشّكّ قلب الملاّ حسين، وهو أخصّ تلامذة السّيد كاظم، الملمّ بكلّ أقواله عن الموعود وأوصافه وعلاماته، وهو الفقيه الّذي أعدّ نفسه للتّعرّف على "الموعود"، فطلب الدّليل تلو الدّليل، حتّى نزلت في حضوره سورة "قيّوم الأسماء". رأى الملاّ حسين في الهيمنة، والاقتدار، والإلهام، المتجلّي أمام ناظريه، اليقين القاطع، والبرهان السّاطع على نزول الوحي، فأذعن إلى نداء الله، وكان أوّل من صدّق بالباب الّذي لُقّب أيضًا بالنّقطة الأولى، وحضرة الأعلى.

ولمّا بلغ عدد المصدّقين بالدّعوة الجديدة ثمانية عشر، معظمهم من تلامذة السّيد كاظم، اجتمع بهم حضرة الباب، وأمرهم بالانتشار في الأرض، مذكّرًا إيّاهم بأنّهم حملة لواء الله في هذا اليوم العظيم، وأمرهم أن يتحلّوا بصفات الله وأسمائه الحسنى، ويكونوا في أقوالهم وأعمالهم مصداقًا لتقوى الله وقدرته وجلاله. وأن يشهد حلّهم وترحالهم على نبل مقصدهم، وكمال فضائلهم، وصدق إيمانهم، وخلوص عبوديّتهم.

خرج حضرة الأعلى بعد ذلك حاجًّا، وبعد أن أعلن دعوته إلى شريف مكّة المكرّمة، عاد إلى مدينته، شيراز، ليواجه معارضة علمائها المستكبرين، وشرّ حاكمها العاتي.

مرحلة الإعلان

بدأ خطاب الباب إلى تلاميذه المرحلة الثّانية في تاريخ دعوته، مرحلة الإعلان، الّتي امتدّت فترتها حتى سجنه في قلعة ماه كوه. تميّزت هذه المرحلة باعتناق عدد من خاصة علماء الشّيعة الدّعوة البابيّة، وانتشار أمر حضرة الأعلى في أنحاء بلاد إيران، ولكن فشلت مع ذلك مساعيه للقيام شخصيًّا بإبلاغ الدّعوة للملك محمد شاه. كما شاهد ختام هذه المرحلة انضمام السّلطة المدنيّة إلى رجال الدّين في مقاومة هذه الدّعوة الجديدة، وصدور أمرها بسجن الباب.

تفصيلاً لأحداث هذه المرحلة الدّقيقة نعود إلى سفر حضرة الأعلى إلى بيت الله الحرام. أتاح غياب حضرته الفرصة للمغرضين لينشروا الأكاذيب عنه، وليثيروا الفتنة ضدّه في مدينة شيراز، فلمّا عاد من حجّه عمل على تهدئة خواطر النّاس فيها،

وعندما اجتمع علماء المدينة لحواره، وواجهوه بكثير من الاتّهامات الكاذبة، رأى حضرته الاكتفاء بإنكار الأباطيل المنسوبة إليه، دون الدّخول في شرح بعثته، فأشاع مناوئوه أنّه رجع عن دعوته، بينما الواضح من كلامه أنّه تبرّأ من مفترياتهم، دون أن يتطرّق إلى إنكار أو إثبات صدق دعوته.

حمل الاهتمام المتزايد بأمر الباب شاه إيران على إرسال أوثق علمائه لتحرّي الحقيقة، فبعث بالسّيد يحيى الدّارابي، الّذي باحث حضرة الأعلى عدّة مرّات، انتهى بعدها إلى التّصديق بدعوته، فاتّهمه العلماء بالجنون، مع أنّهم كانوا يعتبرونه حتى إعلان إيمانه بدعوة الباب أرسخهم علمًا، وأجدرهم بمحاجاة الباب ودحض دعوته. بعث بعد ذلك، الملاّ محمد علي الزّنجاني، من كبار مجتهدي الشّيعة في زمانه، أحد خاصّته لبحث أمر الباب، وما أن عاد رسوله حتّى أنهى الملاّ محمّد مجلس تدريسه معلنًا عبارته الشّهيرة: "طلب العلم بعد الوصول إلى المعلوم مذموم".

قرّر علماء شيراز في أعقاب ذلك التّخلّص من الباب، ولكن في ذات اللّيلة الّتي قبض فيها عليه، فتك الوباء فجأة بمدينة شيراز وأثار الذّعر بين أهلها، فأمر حاكمها بإطلاق سراحه، وطلب منه مغادرتها. قصد حضرة الأعلى مدينة إصفهان، ولكن أفتى علماؤها بكفره. ولمّا دعاهم حاكمها ليباحثوا الباب في أمره، رفضوا متعلّلين بأنّ المناظرة تجوز فيما أشكل، أمّا خروج الباب على الشّرع فواضح كالشّمس في رائعة النّهار. وواصل علماء إصفهان الشّكوى إلى ساحة الملك، فصدر الأمر بإقصاء الباب إلى قلعة ماه كوه ثم قلعة چهريق بإقليم آذربيجان.

مرحلة الاستقلال

بدخول الباب إلى السّجن بلغت دعوته مرحلة الاستقلال. إذ أتاح السّجن له الوقت لشرح دعوته وبيان أهدافها، كما سهّل على المؤمنين الاتّصال به بعيدًا عن مكائد الأعداء، فتجلّى استقلال الدّعوة الجديدة، واجتمع أقطابها ببدشت لتأكيد هذا الاستقلال. انتهت هذه المرحلة الثّالثة بتآمر السّلطتين المدنيّة والدّينيّة على قتل الباب، ونجاحهما في تنفيذ مأربهما الشّنيع علنًا.

تفصيل أحداث هذه المرحلة يبدأ بأسباب سجن حضرة الأعلى في إقليم آذربيجان بالذّات. فقد كان اختيار الوزير أقاسي قلعة ماه كوه ثم قلعة چهريق مكانًا لسجن الباب، وكلاهما بأرض نائية في آذربيجان، على مظنّة عدم مبالاة سكّانها بهذه الدّعوة، لأنّهم من الأكراد السّنة. ولكن ما أن حضر إليها حضرة الأعلى حتى بهر أهلها بدماثة أخلاقه، ورقّة طباعه، وقوّة أيمانه، وخوارق أعماله؛ فالتفّوا حوله، ورحّبوا بكلّ من قصده، وأضحى سجنه مكانًا تأمّه الحجّاج، بعيدًا عن مكائد علماء الشّيعة؛ فزادت البابيّة انتشارًا، وزاد بذلك قلق العلماء.

وافت المنيّة في هذه الأثناء محمّد شاه، وخلفه على العرش الأمير ناصر الدّين ولمّا يتجاوز السّادسة عشر من عمره، كما تولّى ميرزا تقي خان الوزارة متصوّرًا أن إرهاب البابيّين سيوقف انتشار دعوتهم، ويكسبه تأييد العلماء. فأقحم الوزير تقي خان السّلطة المدنيّة مع السّلطة الدّينية في محاربة البابيّة. لذلك لم تُحرّك هذه السّلطة ساكنًا عندما أغار الغوغاء على البابيّين بتحريض من العلماء؛ فاغتصبوا أموالهم، وأراقوا دماءهم، ونكّلوا بذويهم، وحيثما حاول المُعْتَدَى عليهم دفع الشّرّ عن أنفسهم، اتُّهموا بإثارة الفتن والاضطرابات.

جمع الباب آنذاك أوراقه وأرسلها مع قلمه وخاتمه إلى حضرة بهاء الله في طهـران إشـارة إلى وشك انتهـاء مهمّتـه. نُقل بعـدها بقليـل، مع أربعة من أتباعه إلى تبريز، حيث أعـدّت العـدّة لقتلـه. وفي اليـوم التّـالي لوصوله، أصدر علماء تبريز فتياهم بإعـدام البـاب بـدون مواجهتـه، وتـولّى سـام خـان، رئيس فرقة من الجنـود الأرمن، تنفيذ الإعـدام: رُبط البـاب ورفيق له في مواجهة ثلّة جنـود اصـطفّوا في ثلاث صـفوف على مـرأى ومسمع الجموع المتفرّجة. ثم صدر الأمر بإطلاق البارود؛ فعلا دخّان كثيف تعذرت معه الرّؤية. وبعد انقشاع سحب الدّخان، انصعقت الجماهير لرؤية رفيق الباب قائمًا بمفرده، وقد تمزّقت الحبال الّتي قُيّد بها، دون أن يصاب هو بإذى، ولا أثر للباب نفسه.

كان الباب جالسًا داخل الغرفة الّتي اقتيد منها، يتابع في هـدوء إبلاغ آخر وصاياه لأتباعه. بعد انتهائه، أبلغ حارسه المشدوه أنّ وقت شهادته قد حان، ولكن رفض الحارس، وكذلك سام خـان، الاشـتراك في قتلـه، وقـرّر سام خان وجنوده الانسحاب.

لم يكن بدٌّ من إتمام المؤامرة خوفًا من زيادة انتشار الدّين الجديـد. فأحضرت فرقة أخرى من الجنـود، واقتيد البـاب إلى ذات المكـان، وأطلق الرّصاص؛ فتحقّقت بشهادته نبوءة خطّها يراعه في مستهلّ دعوته:

يا سـيّدي الأكـبر ما أنا بشـيء إلاّ وقد أقـامتني قـدرتك على الأمر ما اتّكلت في شـيء إلاّ عليك وما اعتصـمت في أمر إلاّ إليك يا بقيّة الله قد فـديت بكلّي لك ورضـيت السـبّ في سـبيلك وما تمنّيت إلاّ القتل في محبّتك وكفى بالله العليّ معتصمًا قديمًا وكفى بالله شاهدًا ووكيلاً.[3]

أثّـرت الوقـائع المذهلة لاستشـهاد البـاب على القـوى العقليّة لأحد الّذين قاموا على خدمته وتعلقّوا بشخصه، فتصوّر أنّ الوفاء يفرض الانتقام لـه، فعـزم على قتل الشّـاه. من دلائل ضـعف عقلـه، أنّه اسـتخدم أداة لا تميت؛ فأصاب الشّاه بجـروح طفيفـة. لكن وجد أعـداء البابيّة الفرصة من جديد للفتك بالبابيّين، وبدون تحقيق أو محاكمة اتُّهم البابيّون جميعًا بالتـآمر على حيــاة الشّــاه؛ فــامتلأت السّــجون بمن بقي منهم على قيد الحيــاة واقتيدوا أفواجًا إلى مقرّ الشّهادة.

قضت موجة الفتك والسّلب على آلاف الأبرياء، ولكن مضت دعوتهم قـدمًا وامتـدّ نفوذها الى شـرق الأرض وغربهـا، وتُـرجمت كتبها إلى لغـات مختلفــة، وأضــحى مرقد البــاب محجًّا تؤمّه الملايين، بينما خــوت قصــور الملوك والوزراء الّذين حاربوه واندكّت عروشهم كأنّها هشيم تذروه الرّياح.

طَلْعَةُ الظّهور أو البَهَائيّة

البهائيّة هي الإشـراق الّـذي هيّـأت له الـدّورة السّـابقة. وأحـداث الدّورتين مرتبطة، يتعذّر تحديد خـطّ فاصل بينهمـا، إلاّ أنّ بهـاء الله بيّن أنّ بعثته بـدأت أيّـام سـجنه في سـياه چال بطهـران. ولكن لا يمكن تقيسم تاريخ هذه الدّورة بالبساطة الّتي اتّبعناها في الدّورة البابيّـة، لأنّ أحـداثها لا تقتصر على ما وقع منها في حيـاة بهـاء الله فحسـب، بل يشـمل أيضًـا ما أنجـزه ابنه ومركز عهـده عبد البهـاء، ومن بعـده شـوقي ربّـاني حفيد عبد البهاء ووليّ الأمر. وينبغي قبل تفصـيل هـذه المراحل أن نقـدّم بكلمة عن صاحب هذه الدّورة.

بهاء الله هو اللّقب الّذي عُـرف به مـيرزا حسـين علي النّـوري، وهو سليل مجد وشرف، إذ كان أبوه ميرزا عبّاس المعروف بميرزا بزرگ، أحد النّبلاء المقـــرّبين إلى بلاط الملك فتح علي شـــاه، وحاكمًا على منطقة بروجــرد ولُرســتان. اتّصف بهــاء الله منذ طفولته بحميد الخلال، وجميل الخصال، وتميّز بحدّة الذّكاء، ورجاحة العقـل، والشّـجاعة والإقـدام، وأبـدى منذ بكـرة صـباه كفـاءة ومهـارة فـائقتين في حـلّ أعقد المشـاكل، وأظهر معرفة وعلمًا لَدُنيًّا أدهشا مَن حوله من كبار رجال الدّولـة. ورغم كـثرة ما عُـرض عليه من مناصب الدّولـة، انصـرف كلّية إلى أعمـال البِـرّ، ورعاية المساكين، منفقًا ماله الخاص على الفقراء والمعوزين.

في بغداد

بعد محاولة الاعتداء على حياة الشّـاه، قضى حضـرة بهـاء الله أربعة شهور سجينًا في طهران، ينتظر دوره للإعدام بصفته

أحد أقطـاب البابيّـة، ولكن نجح بعض أصـدقائه القـدامى في إقنـاع الملك بـالتّحقيق في هـذا الحـادث، فثبتت براءتـه، وأطلق سـراحه، ولكن أمـرت السّلطات بإبعاده، وصادرت أمواله، فقصد العراق.

بعد إقامة قصـيرة في بغـداد قـرّر بهـاء الله الاعـتزال في جبـال السّـليمانيّة حيث انقطع متعبّـدًا في خلـوة دامت عـامين، لم يكن أحد يعلم خلالها مكانه. وعنـدما عُـرف مكانه إنهـالت عليه التّوسّـلات للعـودة لجمع شملهم، وتنظيم صفوفهم من جديد.

اهتمّ بهاء الله بشرح وبيان تعاليم الباب على نحو لا يمكن أن يكـون إلاّ إلهامًا إلهيًّا. ومن بين مآثر هذه الفترة رسـالتين على جـانب عظيم من الأهميّة، ولا زالتا آيتين من آيـات الإعجـاز: هما الكلمـات المكنونـة، وكتـاب الإيقان. تتعدّى الرّسـالة الأولى حـدود جمـال التّصـوير وبلاغة اللّفظ ورقّة التّعبير، إلى عمق المعنى وسموّ الفكرة، مع شدّة الاختصار وسحر البيـان، وهي موجز للفضائل والإلهيّات الّتي جاءت بها الأديـان سـابقًا، أو كما قـدّم لها بهاء الله:

هـذا ما نُـزّل من جـبروت العِـزّة بلسان القُـدرة والقـوّة على النـبيّين من قبـــل، وإنّا أخـــذنا جــواهره وأقمصـناه قميص الاختصـار فضـلاً على الأحبــــار، ليوفـــوا بعهد الله ويؤدّوا أماناته في أنفسهم، وليكونّن بجـوهر التُّقى في أرض الـرّوح من الفائزين

وفي الرّســالة الثّانية يفيض بيانه الأحلى بتفســير آيـــات الكتب المقدّسة السّابقة على نحو يُبرز وحدة معانيها ومقاصـدها، ويُلفت الأنظـار إلى أبديّة الأديان، وعدم محدوديّة رسـالاتها رغم محدوديّة أحكامها في حيّز زمانيّ. وخلت الرّسالتان من أيّ إشارة

إلى أمره الجديد، ولكن فتح كتاب الإيقان آفاقًا فسيحة أمـام الفكر الـدّينيّ لكلّ المهتمّين بالرّوحانيات، مهيّئًا لإعلان ظهـوره المبـارك. بقي بهـاء الله في بغـداد قرابة عشر سـنوات، علت أثناءها شـكوى البلاط الفارسـيّ من ازديـاد نفـوذه في منطقة يحجّ إليها الشّـيعة من إيـران، وينتهز كثـير منهم الفرصة ليستطلع حقائق البابيّة. وزادت مخاوف البلاط الإيرانيّ بعد زيـارة عدد من أفراده – من بينهم الأمراء – لبهاء الله في منزله المتواضع. فأمر السّـلطان عبد الحميد بحضـوره إلى إسـتنبول. وبينما كـان يتـأهبّ ركبه للرّحيل في ربيع عام 1863، أعلن بهاء الله لأصـحابه بأنّه الموعـود الّـذي بشّر به الباب، والّذي بظهوره تتحقق نبوءات ووعود الأديان السّابقة.

في أدرنة

تمتـدّ المرحلة الثّانية من وقت هـذا الإعلان الخـاص إلى حين إبحـار بهاء الله من تركيا، في طريقه إلى عكّا، وتتميّز بتطوّر المبادئ الّـتي أعلنها الباب إلى أصول وأحكام مفصّـلة، وإعلان دعـوة بهـاء الله إعلانًا عامًا على التّدريج، وإعداد رسائله الموجّهة الى ملوك ورؤساء الدّول، لإبلاغهم مبادئ العصر الجديد ونظامه العالمي، ودعـوتهم للكـفّ عن الحـروب، والحـدّ من التّسلّح، والاتّحاد والتّعاون لخير الشّعوب.

جرت أكثر أحـداث هـذه المرحلة في مدينة أدرنة على أرض القـارّة الأوربيّـة. فبعد وصـول بهـاء الله وصـحبه إلى مدينة إسـتنبول في منتصف أغسـطس (آب) 1863، من رحلة دامت ثلاثة شـهور ونصف على ظهـور الدّواب، خلال جبال وعرة، نما إلى علمهم قرار ترحيلهم إلى أدرنـة، الّـتي وصلوها يوم 12 ديسـمبر (كـانون أول) من نفس السّـنة. واصل بهـاء الله أثنـاء إقامته في هـذه المدينـة، وطيلة السّـنوات الخمس التّاليـة، تفصـيل أصول دعوته،

وشرح النبـوءات والوعـود الإلهيّة الخاصة بمجيئـه، وتهـذيب وتقـويم أخلاق أصحابه وأتباعه، وبيان نظامه لحفظ الأمن في العالم، وإقامة السّـلام على قواعد العدل والتّآزر، وضمّن ذلك رسائله إلى الملوك الّـذين أنـذرهم جمعًا وفرادى مغبّة رفض دعوته. وحاق بكلّ منهم ما أنذره مسبقا من خســران مادّي ومعنوّي – نتيجة لاستكبارهم وعدم مبالاتهم بهذه الرّسـالة السّـماويّة ورفضهم الانصياع لأمر الله – رغم ما كانوا عليه من عزّ مبين.

هنالك ملأ الحسد قلب أخيه لأب، مــيرزا يحــيى، وانتهز المنــاوئون الفرصة لتقّسـيم الأصـحاب، وشـجّعوه على المضـيّ في غيّـه، حـتى إذا ما اشتدّت حدّة الخلاف بين الأتباع، طـالبوا السّـلطان بإبعـادهم؛ فصـدر الأمر بترحيل ميرزا يحيى ومشـايعيه إلى قـبرص، وسـجن بهـاء الله وصـحبه في عكّا.

في عكّا

تمتدّ المرحلة الثّالثة، من وقت وصول بهاء الله إلى سجن عكّا حـتى وفاته بقربها. شهدت السّنوات الأربع والعشرون الّتي قضاها بهاء الله في عكّا ومَرجِها، إبلاغ رسائله إلى الرؤساء والملوك، ونـزول الكتـاب الأقـدس متضمّنًا حدود وأحكام الشّريعة البهائيّة، وتفصيل نظامه العـالمي، وانتشـار دعوته من إيران والعراق، إلى تركيا، وروسيا، ومصر، والشّام، والهند.

أعــاد ســجن بهــاء الله بعكّا إلى الأذهــان الأحــاديث المرويّة حــول منزلتهــا. ومع ذلك لمّا ورد بهــاء الله إليها يــوم 31 أغســطس 1868 لم يخرج أهلها مرحّبين بمن صبغ على مدينتهم هـذه القداسـة، ولكن اجتمعـوا ليسخروا بمن وصفه فرمان 5 ربيع الآخر 1285هـ بمدّعي الألوهيّة، وقضى بدون محاكمة بالسّجن مدى الحياة

على كلّ من صاحب الظّهور وأفراد عائلته، كما أنذر الأهالي مغبّة الاختلاط بهؤلاء الأشرار أو معاشرتهم. واقع الأمر أن العزلة الّتي فُرضت على بهاء الله في سجن عكّا كانت خير دعامة لهذا الظّهور المبارك، وبدأت فترة غنيّة بالتّنزيل، إذ واصل حضرته من السّجن إبلاغ دعوته إلى ملوك ورؤساء العالم، وفصّل في مئات من رسائله معالم النّظم العالمي الّذي أبدعه، وأنزل في كتاب الأقدس التّشريع الجديد، وأجاب على أسئلة المستفسرين، وحرّر كتاب عهده وميثاقه، وحدّد الهيئات والقيادات المستقبلة لإدارة أمر دينه، وبيّن وظيفة وسلطة كلّ منها، وعيّن ابنه الأرشد ليتولّى إدارة شؤون أمره وتفسير تعاليمه من بعده. وبقي في مَزْرِعة حتّى صعدت روحه إلى الرّفيق الأعلى في فجر 29 مايو (أيار) 1892.

دخل بهاء الله مدينة عكّا سجينًا، وبقي فيها سجينًا زهاء ربع قرن – في قبضة طاغ لقبه السّلطان الأحمر لكثرة ما أراق من دماء – واتُّهم بالكفر، وتقويض أركان الدّين، وادّعاء الألوهيّة، وتضليل النّاس؛ فحذرته أهالي عكّا أوّل الأمر، ثم تتبّع النّاس حركاته، وتحرّوا أمره، واطّلعوا على دعوته، وتفحّصوا أقواله وأفعاله قرابة ربع قرن قضاها بينهم، فتبيّنوا كذب كلّ ما أشيع عنه. بذلك شهدت كلماتهم وعباراتهم حين تشييعهم جنازته وتأبينه[4]، وبدا من كلماتهم النّدم والأسى. كانت كلماتهم بسيطة على الفطرة، فعكّا مدينة صغيرة لم تشتهر بعلم أو أدب، ولكنّها أعربت عن مشاعر فاضت بها قلوب صادقة، رغم ما كان يمكن أن يلحق بهم من أذى لمخالفتهم الإرادة السّنيّة. كتب الأستاذ جاد عيد من أهالي عكّا راثيًا بهاء الله: "... فلا محاسن فضله تدرك، ولا مآثر عدله تعدّ، ولا فيوض مراحمه توصف، ولا غزارة مكارمه تحصر، ولا كرم أعراقه ككرم أعراق النّاس. فإنّ كلّ هذه الصّفات الّتي كان فيها آية الله في خلقه لم تكن

لتفي بوصف بعثته الشّريفة، فهو الإمام المنفرد بصفاته، والحـبر المتنـاهي بحسناته ومبرّاته، بل هو فوق ما يصف الواصفون وينعت النّاعتون..."

ومن رثاء نظمه الشّيخ عبد الملك الشّعبي:

لقد كان ربّ الفضل والعلم والتّقى وبحر النّدى والجود والحلم والمجد
ومصباح جود في الدّجى يهتدي به بلى غاية الرّاجي واكرم من يسدي

ومن رثاء نظمه المعلّم أمين فارس من كفر يسيف:

قد كان كهفًا للبرايـا كـلّ مـن وافاه كان ينال ما يستنظر
قد كان شمس هدى وبدر فضائل ومفاخر ومآثـر لا تنكـر

ومن رثاء رشيد افندي الصّفدي من عكّا:

إمام قد حوى علمًا وفضلاً ورشدًا منه قد ظهر البهاء
بتحقيق اليقين على صلاح وزهد لا يشوبهمـا ريـاء

ومن رثاء أمين زيدان:

يا إمام الهدى ونور البهـاء إيّ لفظ يفيك حقّ العزاء
ليت شعري من لي بلفظ نبيّ فيه أرثي علامة الأنبياء

كما كـذّب المـؤرخ الإسّـلامي، الأمـير شـكيب أرسـلان، المفتريـات الموجّهة إلى بهــاء اللــه، فقــال: "وممّا لا جــدال فيه أن البهــاء وأولاده بمقامهم هذه المدّة الطّويلة بعكّا أصبحوا بأشخاصهم معروفين لدى أهـالي بلادنا المعرفة التّامة، بحيث صفا جوهرهم عن أن تعتوره الجهالة، وامتنعت حقيقتهم عن أن تتلاعب بها حصائد الألسنة. أمّا البهـاء فقد أجمع أهل عكّا على أنّه كان يقضي وقته معتزلاً معتكفًـا، وأنّه ما اطّلع له أحد على سـوء، ولا مظنّة نقد، ولا مدعاة شبهة في أحواله الشّخصيّة كلّها..."[5]

وكتب محمـود خـير الـدّين الحلـبي، صـاحب جريـدتي وفـاء العـرب والشّورى الدّمشـقيّتين: "...وانتقل حضـرة بهـاء الله إلى (البهجـة) وواصل جهاده حتى أصبح كعبة الورّاد من جميع الجهات. وبدأت الهبـات تـرد عليه بكثرة من الأتبـاع والمريـدين. ومع ذلك فما كـان يتجـاوز حـدود البسـاطة وكـــان ينفق على الفقـــراء والمســـاكين، ويقضي معظم أوقاته بالصّـــلاة والعبادة..."(6)

مَرْكَزُ العَهْدِ

إنّ النّظم الإداريّ للـدّين البهـائيّ يقـوم أساسًـا على هيئـات منتخبة بالاقتراع العام، على المسـتويين المحلّي والعـالميّ، ولكن حين وفـاة بهـاء الله، لم يكن تعداد البهائيّين، ولا درجة امتزاج شرقيّهم وغربيّهم، ولا ما بين أيديهم من تفاصيل النّظم الإداريّ الجديـد، يسـمح بتنفيذ وحسن سـير هـذا النّظم؛ فعيّن بهــاء الله ابنه الأرشد عبّـاس أفنــدي، ليواصل بنــاء الجامعة البهائيّة العالميّة، ويرسي قواعد نظامها على نفس النّمط الرّوحـاني الّـذي أبدعه، ويحمي الدّين البهائيّ من التّشيّع والانشقاق، سواء بسبب خلافته أو بسبب تفسير تعاليمه وأحكامه؛ فنصّ بهاء الله على هذا التّعيين في وصـيّة مكتوبة بخطّ يده، واعتبرها عهدًا وثيقًا بينه وبين المؤمـنين، حتّى لا تتصـدّع صـفوفهم. وقـام عبّـاس أفنـدي على الأمر من بعد والـده بوصـفه مركز عهده، واختار لنفسه اسم عبد البهاء.

ولد عبد البهاء في عام 1844 في نفس اللّيلة الّتي أعلن فيها الباب دعوته، وأدرك عبد البهاء منزلة أبيه وهو صبيّ في التّاسعة من عمره، قبل أن يعلن دعوته بعشر سـنوات، ولازمه في منفــاه بـالعراق وتركيا ثمّ في سـجن عكّا سـاهرًا على تهيئة ما يعينه على تحقيق أهـداف رسـالته، وقـام على خدمته ومناصـرته كمـؤمن أسـير في محبتـه، متفـاني في طاعتـه، حريص على رضاه حتى اللّحظة الأخيرة من حياته.

لم تسـمح ظـروف النّفي والسّـجن المسـتمرّين ليتلقّى عبد البهـاء العلم في المـدارس، فعلّمه والـده. وأبـدى منذ حداثة سـنّه من مظـاهر النّباهة والفطنة والنّبوغ وحدّة الذّكاء قدرًا غير مألوف

تشهد الأحـاديث، والكتب، والرّسـائل الّـتي تركها برسـوخ قدمه في العلم، وقدرته الفـــذّة على حسن البيـــان، ودقّة التّعبـــير، وعمق الفهم، ومعرفة دقيقة بأسرار هذا الكون. وما نُشر له حتى الآن يربو على ألف وسـبعمائة رسالة، تقع في سبع مجلدات، تحوي تراثًا خالدًا للأجيال القادمة.

لم ينتهِ سـجن عبد البهـاء، إلاّ بعد عـزل السّـلطان عبد الحميد عـام 1909، والإفراج عن الأبرياء المسـجونين في الدّولة العثمانيـة. ورغم أنّه نال الحرّيّة شيخًا ناهز الخامسة والسّتين من عمره، ورغم أنّ طول سـجنه قد هـدّ قـواه وأنهك صـحّته، إلاّ أنّه بـدأ أسـفاره لبلاد الغـرب، بعد التّوقف قليلاً في مصـر، واعتلى المنــابر، وتصــدّر المحافل والمجــالس العلميّــة، وحاضر في الجامعــات، وخطب في المصــلّين، ونــاظر العلمــاء، وبــاحث المفكّـرين، ونــاقش الأدبــاء، وحــرّر ما لا حصر له من الرّســائل ردًّا على المستفســرين، وأبلى في ذلك كلّه بلاء لا حـــدّ له ولا نظــير. لم يســافر ســاعيًا لكسب أو شـهرة، وإنما قيامًا بـواجب نصح به أصـحابه: ألاّ يلـوذوا بالسّكون، أو يخلدوا إلى الرّاحة، وأن يطهّروا أنفسـهم من التّعلّق بملـذّات الحياة الفانية، ويشتروا بمتاع الدّنيا كنـوزًا لا تفـنى ومقـرًّا في قـرب اللـه، وأن يغتنموا الفرصة لنشر نفحات الله وسطوع نوره بين العالمين.

تناول عبد البهاء في كتبه وأحاديثه الخاصّة والعامّة موضوعات كثيرة التّنــوّع عبّر فيها عن فكر بهـائيّ روحًا ومعـنى. بيّن أنّ وحـدة العــالم في طريقها إلى التّحقيق على التّدريج ولها سـبع عناصـر: اتّحـاد في السّياسـة، واتّحــاد في الفكــر، واتّحــاد في الحرّيــة، واتّحــاد في الــدّين، واتّحــاد في القوميّـة، واتّحـاد بين الأجنـاس، واتّحـاد في اللّغـة. وبـنى حلوله لمشـاكل العــالم على أســاس قِيَمٍ إنســانيّة، مؤكـدًا أنّ التّقــدّم ســواء في ميــادين الاقتصاد أو

الاجتمـاع أو العلـوم والآداب والفنـون، إنّما يتوقّف على مـدى ما وصل إليه أفـراد المجتمع في تمسّـكهم بالعـدل، وتقـويمهم للأخلاق، وحرصـهم على المصـلحة العامّة قبل المصـالح الخاصّـة، ورغبتهم في التّعـاون على الـبرّ والخير، وأنّ هذه وغيرها من مقوّمات الـرّقي تتحقّـق بالتّهـذيب الـدّينيّ، لا بالسّياسة ولا بالعلم ولا بالثّروة. وردّ على رسالة لمـؤتمر السّـلام المنعقد بلاهـاي في 1899، فأوضح أنّ السّـلام العـالميّ بعيد المنـال ما لم توضع المبادئ الرّوحانيّة والتّعاليم الّتي أعلنها بهاء الله موضع التّنفيذ. وحذّر أثناء أسفاره من وشوك اندلاع حرب عالميّـة، ومن خطر الأوضـاع السّـائدة في بلاد البلقان. وكرّس جهودًا مضنية لإزالة الفواصل الّتي ما زالت تفرّق بين النّاس سواء كان مرجعها التّعصّب الدّيني أو التّعصّب العنصريّ أو التّعصّب القوميّ. وعلّم أنّ الأديان هي مراق للسّمو الإنسـانيّ فلا يجـوز أن نحوّلها إلى حواجز تفصل بين البشر.

ومن نصـــحه لنفر من أصـــحابه: "... فيجب عليكم أن تتضـــرّعوا وتبتهلوا آناء اللّيل وأطراف النّهار، وتسألوا الله أن يوفّقكم إلى الأعمـال لا الأقوال. توجّهوا إلى الله، وصلّوا لـه، ونـاجوه، واسـعوا عسى أن توفّقـوا إلى عمل الخير، وأن تكونوا سببًا لغنى الفقير، وعونًا لكلّ بـائس، وسـرورًا لكلّ محزون، وسببًا لصحّة كلّ مريض، وسببًا لأمن كلّ خائف، ووسيلة لكلّ من لا وسيلة له، وملجأ وملاذًا لكلّ غريب، ومنزلاً ومأوى لكلّ من لا مـأوى له ولا وطن. تلك هي صفة البهائيّ."

وفي 12نوفمـبر (تشـرين الثـاني) 1911 أبـان لزائريه أنّ الـدّين منقسم إلى قسـمين، أحـدهما يتعلّق بالرّوحانيّـات، وهو الأصـل، والثّـاني يتعلّق بالماديّـــات، أي المعـــاملات. "أمّا القسم المتعلّق بالرّوحانيّـــات والإلهيّات فإنّه لم يتغيّر، ولم يتبدّل، وعليه بُعث

جميع الأنبياء الّذين أسّسوا فضائل الإنسان... أمّا القسم الثّاني من الـدّين، فإنّه يتغيّر ويتبـدّل بمقتضى الزّمـان والمكـان... أسـاس دين اللـه، هو الأخلاق، وإشراق نور المعرفة، والفضائل الإنسانيّة ..."

ومن كلمة ألقاها يوم 27 أغسطس (آب)1911 بتونون لوبان بسويسرا –نقلاً عن الأهرام–: "... ولنترك الجور والطغيان، ولنلـتئم التئـام ذوي القربى بالعدل والإحسان، ولنمتزج امتزاج الماء بـالرّاح، ولنتّحد اتّحـاد الأرواح، ولا نكـاد أن نؤسّـس سياسة أعظم من سياسة اللـه، ولا نقـدر أن نجد شيئًا يوافق عالم الإنسان أعظم من فيوضات الله، ولكم أسوة حسـنة في الرّبّ الجليل، فلا تبدّلوا نعمة الله، وهي الألفة التّامّة في هذا السّـبيل. عليكم، يا عباد اللـه، بـترك الاختلاف، وتأسـيس الائتلاف والحبّ والإنصـاف والعدل وعدم الاعتساف ...".

أمّ مجالس عبد البهـاء، وراسـله صـناديد الرّجـال في العـالم أمثـال: الكـاتب الرّوسي ليو تولسـتوي، والعـالم السّويسـري بروفسـور أوجست فورل، والمستشرق أرمينيوس ڤامبري (هرمن) الأستاذ بجامعة بودابست، والأمير محمّد علي، والصّدر الأعظم مـدحت باشا زعيم الإصـلاح السّياسي في تركيـا، والإمـام محمد عبـده، والأديب جـبران خليل جـبران، والمـؤرخ والأديب السّياسي الأمير شكيب أرسلان، ورائد الصّحافة المصـريّة الشّـيخ علي يوسف، ومفتي الدّيار المصريّة الشّيخ محمد بخيت.

وفي ليلة 28 تشرين الثـاني (نوفمـبر) 1921 صـعد عبد البهـاء إلى النشأة الأخرى، عن سبعة وسبعين عامًا. وتنـاقلت الصّـحف الخـبر بصـورة تعبّر عن شعورها بفداحة الخسارة. فنشـرت جريـدة النّفـير الصّـادرة في حيفا على طول صـفحتها الأولى، تحت عنـوان: "خطب جلـل، انتقـال رجل الإنسانيّة عبد البهاء عباس." ثم استرسلت

بقولها: " رزئت الإنسـانيّة بانتقـال أعظم ركن من أركانهـا، وأشـهر محسن إليها، ملأ الخافقين ذكره وشـداه، العـالم الكبـير، والحكيم الشّـهير، السّـيد عباس البهائيّ".

كتبت جريـــدة المقطّم في 30 نوفمـــبر 1921: "كـــان رحمه الله محترمًا من جميع الّـذين عاشـروه، مهيبًا كـريم النّفس، متّصـفًا بـالأخلاق السّـامية، وله أتبـاع ومريـدون معظمهم في بلـدان الغـرب والولايـات المتّحدة...زار الفقيد القطر المصريّ قبل الحرب وأقـام بضـاحية الزّيتـون، وعرف كبار المصـريّين وفضـلاءهم، وزار بعض بلـدان أوربّا وأمريكا فقوبل فيها بالتّكريم، وخطب في المحافل والمعاهد والكنـائس داعيًا إلى السّـلام والوئـام والإخـاء بين البشـر، والكـفّ عن الحـروب، والرّجـوع إلى تعـاليم الأنبياء والمرسلين...".

وقدمت النّفـير في 6 كـانون الأول (ديسـمبر) وصـفًا لتشـييع جنازته نقتطف منه فقرات موجزة لما يلقيه هذا السّجل التـاريخيّ من ضـوء على منزلة عبد البهـاء في قلـوب معاصـريه ومعاشـريه: "طـوّق النّعش فخامة المندوب [السّامي] وحاشيته، وحاكم المقاطعـة، ومصـاف العلمـاء الأعلام من علمـانيّين ورؤسـاء روحـانيّين، ولما وصـلت مـؤخّرة المـوكب، كـان الاجتماع مهيبًا لم ترَ حيفا نظيره، ولما سـاد السّـكون وقف حضـرة الأديب يوسف أفنـدي الخطيب وارتجل خطابًا مـؤثّرًا نـذكر منه فيما يلي ما أمكنّا التقاطه: ... فابكوا على الفضل والأدب، انـدبوا العلم والكـرم، ابكـوا لأجل أنفسـكم لأنّكم أنتم الفاقـدون، وما فقيـدكم إلاّ راحل كـريم من عـالمكم الفـاني إلى دار الأبد والأزل، ابكـوا سـاعة لأجل من بكى لأجلكم ثمـانين عامًا...".

وعقبه إبـراهيم أفنـدي نصّـار فقـال: "... أيّها الرّاقد العظيم الكـريم أنت أحسنت إلينا وأرشدتنا وعلّمتنا، عشت بيننا عظيمًا بكلّ

ما تعنيه كلمة العظمــة، وقد تفاخرنا بأعمالك وأقوالــك، أنت رفعت منزلة الشّرق إلى أعالي ذروة المجد، قد أصلحت وهذّبت، أتممت السّــعي فنلت إكليل المجد...".

وتلاه حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ محمد مراد، مفـتي حيفا قـائلاً: "... لا أودّ أن أبـالغ في تـأبين هـذا الرّجل العظيم، فـإنّ أياديه البيضـاء في سبيل خدمة الإنسانيّة، ومآثره الغرّاء في عمل البرّ والإحسان لا ينكرها إلاّ من طمس الله على قلبه. كـان عبد البهـاء عظيمًا في جميع أدوار حياتـه، كان عصاميًّا أبيّ النّفس، شـريف العواطـف، سـامي المبـادئ، كـان رضـيّ الأخلاق، حسن السّيرة، اشتهر ذكره في مشارق الأرض ومغاربها. وهو لم يحــرز هــذه المرتبة العالية إلاّ بجـدّه واجتهــاده، ولم ينل في القلــوب تلك المنزلة العالية وذلك المكـــان الرّفيـــع، إلاّ بمســـاعدته للبـــائس، وبإغاثته للملهوف، وبتسليته للمصاب. كـان رحمه الله واقفًا على دقـائق الشّـريعة الإسلامية. كان عالمًا كبيرًا وأستاذًا نحريرًا...".

تلاه الأســتاذ عبد الله مخلص: "إنّ شــمس العلم قد غــربت، وبــدر التّقى قد أفـل، ونجم المكـارم قد هـوى، وعـرش الفضـيلة قد ثـلّ، وطـود الإحسان قد دكّ، ومعالم الهدى قد تغيّرت بانتقال هـذا الرّاحل الكـريم من الدّار الفانية إلى الدّار الباقية".

ونختم هـذه المقتطفـات ببيـتين من قصـيدة ارتجلها حضـرة فضـيلة الشّيخ يونس الخطيب:

حكم الإله بموت عباس البها ربّ التّقى والفضل والعرفان
كلّ الأنام بكت وطال نحيبها لفراق من هو عين كلّ زمان

ولايَةُ أَمْرِ الله

عند صـــــعود عبد البهـــــاء، لم تكن الجامعة البهائيّة قد بلغت من الانتشار نحـوًا يسـمح بانتخـاب الهيئة العليا لنظمها الإداريّ، بحيث يشـترك في انتخابها ممثلون عن مختلف الشّعوب والأجناس والثّقافات في العـالم؛ فأوصى عبد البهاء بولاية الأمر من بعده إلى حفيده الأرشد شـوقي ربّـاني، ليتمّم الخطّة الّـتي وضـعها، وباشر في تنفيـذها، من أجل اسـتكمال النّظم الّذي وضع أصوله بهاء الله.

ولد شــوقي ربّـاني بمدينة عكّا في أوّل أيــار (مــارس) 1897. بــدأ تعليمه في مـدارس حيفـا، ثم انتقل إلى بـيروت لمواصـلة دراسـته الّـتي انتهت في جامعة أكسـفورد. وتـولّى عبد البهـاء تربيته وتوجيهه بنفسه منذ طفولته، ووصفه بأنّه "أبدع جوهرة فريـدة عصـماء". كـان شـوقي ربّـاني رجلاً مثاليًّا عديم النّظـير، لا يحيد عن المبـادئ، ولا تأخـذه في الحـقّ لومة لائم، ذا نظر ثـاقب، ورأي صــائب، ورؤية جليّــة، ومنطق ســليم، وتحليل عميق. جمع إلى ذلك رفاهة الحسّ، ورقّة المشاعر، وكثرة المهابة، وشدّة التّواضع. وهو مع ذلك طلق اللّسان، قويّ البيان، سلس الأسـلوب، فصـيح العبارة، بعيد المغزى.

تولّى الأمر وهو في عنفوان الشّباب، وكرّس حياته لرعاية المسؤليّة الّــتي تركها له عبد البهــاء، وعمل على تنمية إمكانــات العــالم البهــائيّ، وإرساخ جذور هيكله الإداريّ، ليقوم بتدبير شؤون جامعة عالميّة من بعـده، ويحافظ على وحـدتها. وبانتهـاء ولايته اجتـاز الـدّين البهـائيّ طـور الرّئاسة المتمثّلة في شـخص واحد إلى رئاسة تتمثّل في هيئـات منتخبة على ثلاثـة مستويات: المحافل

الرّوحانية المحلّية على مســـتوى المدينة والقريـــة، والمحافل الرّوحانيّة المركزيّة على مسـتوى المملكة أو الجمهوريّـة، وبيت العـدل الأعظم على مستوى العالم.

لم تمهل المنيّة شوقي ربّاني ليشهد انتخاب بيت العـدل الأعظم في ربيع 1963، إذ وافـاه الأجل المحتـوم ليلة 4 نوفمـبر (تشـرين الثـاني) 1957، خمس سـنوات قبل تأسـيس أوّل رئاسة دينيّة جماعيّـة، وهيئة تشريعيّة منتخبة بالاقتراع العام على مستوى عـالميّ، اشـترك في انتخابها أكثر شعوب العالم، وأجناسه، وثقافاته.

شهادة المنصفين

رغم ما واجهه الدّين البهـائيّ من مقاومة واتّهامـات، كما هي الحـال عند ظهور كلّ دين، لم يعدم بعض العلماء والمفكّرين الشّـجاعة ليصـرّحوا بالحقـائق الّـتي عرفوها عنه وعن المنـادين بـه، نـذكر هنا بعضًـا منها على سبيل المثال. نشرت الأهرام يـوم 18 يونيو 1896 مقـالاً يـرجّح أنّ كاتبه الشّيخ محمد عبده جاء فيه: "... على أن المعروف من أحوال البهـاء وبنيه الشّخصيّة، والمأثور عنهم من خلال التّرف ومزايا الكـرم والتّحقّق بصـفات التّهذيب والأدب، هو غـير متنـازع فيـه، ولا ينكـره إلاّ كل مكـابر. وحضـرة ولده الأكبر عبّاس أفندي أشهر من أن يعرّف بفضـله، ويُنبّه عن نبلـه، وهو المعروف عند أعيان البلاد وأولياء الأمور، وقد عرفناه رجلاً ظـاهر النّجابـة، بادي السّراوة، فصيح اللّهجة، مهيب الطّلعة، كثير الوقار والحشمة، ذا أدب في غاية الغضاضة، وخُلق على جانب عظيم من الرّياضة ..."

سـجّل الأديب والمـؤرّخ الأمـير شـكيب أرسـلان في كتابه "حاضر العالم الإسـلامي" علاقته مع عبد البهـاء قـائلاً: "وكـانت له مع هـذا العـاجز مراسلات متّصلة باتّصال حبل المـودّة. وعمـران جـانب الصّـداقة، ومـرارًا قصدت عكّا ولا غرض لي فيها سوى الاستمتاع بأدبه الغضّ، والاغتراف من علمه الجمّ.[7]

ثمّ نوّه في نفس الكتاب بحضرة عبد البهاء:

"... كان آية من آيـات الله بما جمع الله فيه معـاني النّبالـة، ومنـازع الأصالة، والمناقب العديدة الّـتي قـلّ أن ينـال منها أحد منالـه، أو يبلغ فيها كمالـه، من كـرم عـريض، وخلق سـجيج، وشـغف بـالخير، وولـوع بإسـداء المعروف، وإغاثة الملهوف، وتعاهد المسـاكين بالرّفد بـدون ملـل، وقضـاء حاجات القاصدين بدون برم، هذا مع علوّ النّفس، وشغوف الطّبـع، ومضـاء الهمّـة، ونفـاذ العزيمـة، وسـرعة الخـاطر، وسـداد المنطـق، وسـعة العلم، ووفور الحكمة، وبلاغة العبارة، حتّى كأن فصاحته صـوب الصّـواب، وأقواله فصل الخطاب، وكتاباته الـدّيباج المحبّـر، وفصـوله الوشـي المنمنم، يفيض بيانه جوامع كلم، وتسيل عارضـته سـيل عـارض منسـجم، ويـودّ اللّـبيب لو أقـام العمر بمجلسه يجـني من زهر أدبه البـارع، ويـرد من منهل حكمته الطّيبة المشـارع، اسـتولى من المعقـول على الأمد الأقصـى، وأصـبح في الإلهيّات المثل الأعلى، وبلغ من قوّة الحجّـة، وأصـالة الـرّأي، وبعد النّظـر، الغاية الّـتي تفـنى دونها المـنى، حـتى لو قـال الإنسـان أنّه كـان أعجوبة عصره، ونادرة دهره، لما كان مبالغًا، ولو حكم بأنّه من الأفـذاذ الّـذين قلّما يلدهم الدّهر إلاّ في الحقب الطّوال، لكان قوله سائغًا..." [8]

وكتب الأديب الرّوسي ليو تولستوي: "أعطف من أعماق قلـبي على الحركة البابيّة، إنّها تلقّن النّاس مبادئ الأخوّة والمساواة

والتّضحية بالحياة المادّيّة في خدمة الله. إنّ التّعاليم البابيّة الّتي جاءتنا منبعثة من الإسلام، قد تطوّرت تدريجيًّا من أثر تعاليم بهاء الله، وهي تقدّم لنا الآن أسمى صورة من التّعاليم الدّينيّة.[9]

وكتب الشّيخ الآلوسي مفتي بغداد في كتابه "نهج السّلامة في مباحث الإمامة"، مكذّبًا الاتّهامات الموجّهة إلى قرّة العين فقال: "... وهي ممّن قلّد الباب بعد موت الرّشتي، ثم خالفته في عدّة أشياء منها التّكاليف، فقيل أنّها كانت تقول بحلّ الفروج ورفع التّكاليف بالكلّية، وأنا لم أحسّ منها بشيء من ذلك، مع أنها حبست في بيتي نحو شهرين، وكم من بحث جرى بيني وبينها رُفعت فيه التّقيّة من البين..."[10]

وكتب الأستاذ علي الوردي أستاذ التاريخ بجامعة بغداد: إنّي أعتقد على أيّ حال، أنّ قرّة العين امرأةٌ لا تخلو من العبقريّة، وهي قد ظهرت في غير زمانها، أو هي سبقت زمانها بمائة سنة على أقلّ تقدير، فهي لو كانت قد نشأت في عصرنا هذا، أو في مجتمع متقدّم حضاريًّا، لكان لها شأن آخر، وربما كانت أعظم امرأة في القرن العشرين."[11]

وكتب المؤرّخ العالميّ أرنولد توينبي: "في رأيي أن البهائيّة بدون شكّ دين، ودين مستقلّ على قدم المساواة مع الإسلام والمسيحيّة أو غيرهما من الأديان المعترف بها في العالم، فالبهائيّة ليست مذهبًا تابعًا لدين آخر، بل هي دين منفرد بذاته، ولها نفس المكانة الّتي للأديان الأخرى".[12]

مِن آثار حَضرة بَهَاء الله

ختامًا لهذا العرض السّريع لبعض جوانب الدّين البهـائيّ، نقتطف في السّطور التّالية كلمات لحضـرة بهـاء اللـه، حـتى تتـاح الفرصة للقـارئ أن يتبيّن بنفسه حقيقة هذا الأمر المبارك، إيمانًا منّا بـأنّ الله قد أودع في كـلّ نفس مميّزة ما يعينها على التّعرّف على الحقّ من آياته وبيّناته:

"... ثم اعلم بأنّ هذا الغلام كلّما يكون ناظرًا إلى نفسه يجدها أحقر الوجود، وكلّما يرتدّ البصر إلى التّجلّيات الّتي ظهـرت منها يجـدها سـلطان الغيب والشّهود، فسبحان الّذي بعث مظهر نفسه بالحقّ، وأرسله على كلّ شاهد ومشهود..."[13]

"... قل إنّ الحريّة في اتّبــاع أوامــري لو أنتم من العــارفين، لو اتّبع النّاس ما أنزلنـاه لهم من سـماء الـوحي ليجـدنّ أنفسـهم في حريّة بحتـة، طـوبى لمن عـرف مـراد الله فيما نـزل من سـماء مشـيئته المهيمنة على العالمين. قل الحريّة الّتي تنفعكم إنّها في العبوديّة لله الحقّ، والّـذي وجد حلاوتها لا يبدّلها بملكوت السّموات والأرضين."

"... قد حــرّم عليكم الزّنا واللّــواط والخيانــة، أن اجتنبــوا يا معشر المغلّين. تالله قد خلقتم لتطهير العالم عن رجس الهوى هذا ما يأمركم به مــولى الــورى إن أنتم من العـــارفين. ومن ينسب نفسه إلى الــرّحمن ويــرتكب ما عمل به الشّــيطان، إنّه ليس منّي، يشــهد بــذلك كــلّ النّــواة والحصاة وكلّ الأشجار والأثمـار وعن ورائها هـذا اللّسـان النّـاطق الصّـادق الأمين."[14]

"... إنّا أمرنا الكلّ بالمعروف ونهيناهم عن المنكر، طوبى لمن

أخذ أمر الله ونبذ ما سواه إنّه من أهل الحقّ في كتاب مبين."[15]

"... إيّاكم يا ملأ التّوحيد، لا تفرّقوا في مظاهر أمر الله ولا فيما نـزّل عليهم من الآيـات وهـذا حـقّ التّوحيد إن أنتم من الموقـنين وكـذلك في أفعالهم وأعمالهم وكلّ ما ظهر من عندهم ويظهر من لـدنهم كـلّ من عند الله وكلّ بأمره عاملين..."[16]

"... يا قـوم هل تظنّـون بـأنّ الأمر بيـدي؟ لا فـونفس الله المقتـدر المتعـالي العليم الحكيم، فوالله لو كـان الأمر بيـدي ما أظهـرت نفسي عليكم في أقـلّ من آن وما تكلّمت بكلمة وكـان الله على ذلك شـهيد وعليم..."[17]

"... إنّي أنفقت روحي وجسدي لله ربّ العالمين ومن عرف الله لن يعرف دونـه، ومن خـاف الله لن يخـاف سـواه ولو يجتمع عليه كل من في الأرض أجمعين، وما نقول إلاّ بما أمرت وما نتبع إلاّ الحقّ بحول الله وقوّته وإنّه يجزي الصّادقين..."

" قل يا قوم دعوا الرّذائل وخذوا الفضـائل، كونـوا قـدوة حسـنة بين النّـاس وصـحيفة يتـذكّر بها الأنـاس، من قـام لخدمة الأمر له أن يصـدع بالحكمة ويسـعى في إزالة الجهل عن بين البريّـة، قل أن اتّحـدوا في كلمتكم واتّفقوا في رأيكم واجعلـوا إشـراقكم أفضل من عشـيّكم، وغـدكم أحسن من أمسـكم. فضل الإنسـان في الخدمة والكمـال لا في الزّينة والثّروة والمال، اجعلوا أقوالكم مقدّسة عن الزّيغ والهوى وأعمالكم منزّهة عن الرّيب والرّياء. قل لا تصرفوا نقود أعمـاركم النّفيسة في المشـتهيات النّفسيّة ولا تقتصـروا الأمـور على منـافعكم الشّخصـيّة، أنفقـوا إذا وجـدتم واصبروا إذا فقـدتم إن بعد كـلّ شـدّة رخـاء ومع كـلّ كـدر صـفاء، اجتنبـوا التّكاهل والتّكاسل وتمسّـكوا بما ينتفع به العـالم من الصّـغير والكبـير والشّيوخ والأرامل، قل إيّاكم أن تزرعوا زؤان الخصومة بين البريّة وشـوك الشكوك في القلوب الصّافية المنيرة".

قل يا أحبّــاء الله لا تعملــوا ما يتكــدّر به صــافي سلســبيل المحبّة وينقطع به عرف المودّة، لعمري قد خلقتم للوداد لا للضّغينة والعنـاد، ليس الفخر لحبّكم أنفســكم بل لحبّ أبنــاء جنســكم، وليس الفضل لمن يحبّ الـوطن بل لمن يحبّ العـالم. كونـوا في الطّـرف عفيفًـا، وفي اليد أمينًـا، وفي اللســان صـادقًا، وفي القلب متـذكّرًا، لا تسـقطوا منزلة العلمـاء في البهاء ولا تصغّروا قدر من يعدل بينكم من الأمـراء، اجعلـوا جنـدكم العـدل وسلاحكم العقل وشيمكم العفو والفضل وما تفرح به أفئدة المقرّبين."[18]

"يا ابن الإنســان لو تكــون نــاظرًا إلى الفضل ضع ما ينفعك وخذ ما ينتفع به العباد، وإن تكن ناظرًا إلى العدل اختر لدونك ما تختـاره لنفسـك. إنّ الإنسان مرّة يرفعه الخضوع إلى سماء العـزّة والاقتـدار، وأخـرى ينزله الغرور إلى أسفل مقام الذّلة والانكسار."[19]

"قد وجب على كلّ واحد منكم الاشتغال بأمر من الأمور من الصّنائع والاقـتراف وأمثالهـا، وجعلنا اشـتغالكم بها نفس العبـادة لله الحـقّ ... لا تضيّعوا أوقاتكم بالبطالة والكسالة، واشتغلوا بما ينتفع به أنفســكم وأنفس غـيركم، كـذلك قضي الأمر في هـذا اللّـوح الّـذي لاحت من أفقه شـمس الحكمة والبيـان. أبغض النّـاس عند الله من يقعد ويطلب، تمسّـكوا بحبل الأسباب متوكّلين على الله مسبّب الأسباب."[20]

"... إنّ ربّكم الرّحمن يحبّ أن يـرى من في الأكـوان كنفس واحـدة وهيكل واحـد، أن اغتنمـوا فضل الله ورحمته في تلك الأيّـام الّـتي ما رأت عين الإبداع شـبهها طـوبى لمن نبذ ما عنـده ابتغـاء لما عند الله نشـهد أنّه من الفائزين ..."[21]

"... قل يا قوم، زيّنوا لسانكم بالصّدق، ونفوسكم بالأمانة، إيّاكم يا قوم، لا تخونوا في شيء وكونوا أمناء الله بين بريّته، وكونوا من المحسنين، إنّ الّذين يرتكبون البغي والفحشاء أولئك ضلّ سعيهم وكانوا من الخاسرين ..."[22]

"... لا تخونوا في أموال النّاس، كونوا أمناء بينهم، لا تحرموا الفقراء عمّا أتاكم الله من فضله، وإنّه يجزي المنفقين ضعف ما أنفقوا، إنّه ما من إله إلاّ هو له الخلق والأمر، يعطي من يشاء ويمنع عمّن يشاء، وإنّه لهو المعطي الباذل العزيز الكريم ..."[23]

"... كن في النّعمة منفقًا، وفي فقدها شاكرًا، وفي الحقوق أمينًا، وفي الوجه طلقًا، وللفقراء كنزًا، وللأغنياء ناصحًا، وللمنادي مجيبًا، وفي الوعد وفيًّا، وفي الأمور منصفًا، وفي الجمع صامتًا، وفي القضاء عادلاً، وللإنسان خاضعًا، وفي الظّلمة سراجًا، وللمهموم فرجًا، وللظمآن بحرًا، وللمكروب ملجًا، وللمظلوم ناصرًا وعضدًا وظهرًا، وفي الأعمال متّقيًا، وللغريب وطنًا، وللمريض شفاءً، وللمستجير حصنًا، وللضّرير بصرًا، ولمن ضلّ صراطًا، ولوجه الصّدق جمالاً، ولهيكل الأمانة طرازًا، ولبيت الأخلاق عرشًا، ولجسد العالم روحًا، ولجنود العدل رايةً، ولأفق الخير نورًا، وللأرض الطّيبة رذاذًا، ولبحر العلم فلكًا، ولسماء الكرم نجمًا، ولرأس الحكمة إكليلاً ..."[24]

"رأس الإيمان هو التّقلّل في القول والتّكثّر في العمل، ومن كان أقواله أزيد من أعماله فاعلموا أنّ عدمه خير من وجوده، وفناءه أحسن من بقائه."[25]

"أصل الحكمة هو الخشية عن الله عزّ ذكره والمخافة من سطوته وسياطه، والوجل من مظاهر عدله وقضائه."[26]

بعض المصادر

1- أحمد عطية، القاموس الإسلامي، الجزء 4، ص 207، مكتبة النهضة، القاهرة 1976.
2- المرجع السابق، الجزء الأول، ص 31.
3- نسائم الرحمن، الطبعة 2، ص5، المحفل الروحاني بشمال غرب أفريقيا.
4- ملا محمد علي زرندي، مثنوي، المطبعة العربية بمصر، 1924.
5- الأمير شكيب أرسلان، حاضر العالم الإسلامي، المجلد 2، الجزء 3 ص358.
6- محمود خير الدّين الحلبي، عشر سنوات حول العالم، الجزء 1، ص41، مطبعة ابن زيدون، دمشق، 1937.
7- مكاتيب عبد البهاء، مجلد 1، ص 117-118، مطبعة كردستان، مصر، 1910.
8- الأمير شكيب أرسلان، المرجع السابق، ص359.
9- الأمير شكيب أرسلان، المرجع السابق، ص358.
10- الإمام الآلوسي، نهج السلامة في مباحث الإمامة، أورده شهاب زهرائي، في فقراتي از يـک نامه، ص7.
11- دكتور علي الوردي، لمحات اجتماعيّة من تاريخ العراق، الجزء 2، ص190.
12- آرنولد توينبي، The Baha’i Faith, Information Folder, Baha’i Publications Australia.
13- منتخباتي آز آثار حضرة بهاء الله، الطبعة 1، ص73، لجنة نشر آثار أمري بلسان فارسي وعربي، لانگنهاين، 1984.
14- العفّة والتقديس، ص22، دار النشر البهائيّة في البرازيل،1990.
15- لئالئ الحكمة، مجلد 1، ص173، دار النشر البهائية في البرازيل، 1986.
16- منتخباتي آز آثار حضرة بهاء الله، الطبعة 1، ص46، لجنة آثار أمري بلسان فارسي وعربي، لانگنهاين، 1984.
17- المرجع السابق، ص65.
18- مجموعة من ألواح حضرة بهاء الله، ص117-119، دار النشر البهائية، بلجيكا، 1980.
19- المرجع السابق، ص82.
20- المرجع السابق، ص 42.
21- منتخباتي آز آثار حضرة بهاء الله، طبعة 1، ص139، لجنة نشر آثار أمري بلسان فارسي وعربي، لانگنهاين، 1984.
22- المرجع السابق، ص190.
23- المرجع السابق، ص178.
24- المرجع السابق، ص182.
25- مجموعة من ألواح حضرة بهاء الله، ص135، دار النشر البهائية في بلجيكا، 1980.
26- المرجع السّابق ص133.